مقتل آل هاشم في كربلاء

تأليف :

مُحَمَّد علي الحسيني

تجدر الإشارة إلى أننا اضطررنا إلى إنزال هذا الكتاب ـ بعد تصحيحه وتقويمه ـ على موقعنا من غير أن تُكتب أرقام صفحاته ؛ وذلك لأنّنا حينما أتينا به من بعض المواقع الأُخرى كان خالياً من الترقيم , وبعد جهد جهيد في البحث عن الأصل لم نعثر عليه في بعض مكتباتنا العامة , وسوف نثبت أرقام الصفحات فيما بعد إن شاء الله تعالى إن سنحت الفرصة في الحصول على نسخة الأصل .

ملاحظة

هذا الكتاب

طبع ونشر الكترونياً وأخرج فنِيّاً برعاية وإشراف

شبكة الإمامين الحسنين (عليهما السلام) للتراث والفكر الإسلامي

وتولَّى العمل عليه ضبطاً وتصحيحاً وترقيماً

قسم اللجنة العلميّة في الشبكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسّلام على خير الأنام وسيد الأنبياء والمرسلين محمّد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين ، واللعنة الدائمة على مَنْ ظلمهم إلى قيام يوم الدين .

روي عن أبي الحسن الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السّلام) أنّه قال : ((**إنّ يوم الحسين أقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء ، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء ؛ فعلى مثل الحسين فليبك الباكون ؛ فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام**))[1] .

فالحزن والبكاء على مصيبة سيّد الشهداء الإمام أبي عبد الله الحسين (عليه السّلام) باق ومستمر في السماء والأرض حتّى يوم القيامة ؛ ففي كلّ سنة يتجدد البكاء ومجالس العزاء ، وكأنّ واقعة كربلاء حديثة عهد ، فكلّ أرض تصبح كربلاء وخصوصاً يوم العاشر ، وهو مصرع الإمام الحسين (عليه السّلام) وأهله وأصحابه ؛ ففي هذا اليوم الحزين يشرع خطباء المنبر الحسيني بقراءة المقتل ، وجرت العادة على تقسيم المصرع إلى قسمين :

---

(١) بحار الأنوار ٤٤ / ٢٨٣ .

١ ـ مصرع الأصحاب .

٢ ـ مصرع الإمام الحسين (عليه السّلام) وأهله .

وقد اخترنا القسم الثاني واستعنّا بكتاب المصيبة الراتبة الذي صدر عن المؤتمر العاشورائي في لبنان . بيروت سنة ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .

وتعميماً للفائدة والحاجة قمنا ومعنا بعض الإخوة مشكورين بتحريك النصِّ وضبطه وإخراج المصادر ، وأجرينا بعض التغييرات التي رأيناها مناسبة ، آخذين بعين الاعتبار أنّ يوم العاشر يفتقر غالباً إلى وجود قارئ متخصص ، خصوصاً في دول الاغتراب , لكي يرتقي المنبر ، بل يقوم بذلك مَنْ عنده الأهلية من ناحية الصوت فقط .

وهذا الكتاب يُسهّل عليه وعلى غيره الجمع بين الصوت وبين الناحية الفنيّة والنحويّة ، طبعاً مع المراعاة . نسأل الله أن يكون فيه الفائدة والأجر والثواب .

قم المقدّسة

الإثنين ١٣ رجب ١٤٢٢ هـ

١ تشرين الأوّل ٢٠٠١ م

مُحَمَّد علي الحسيني

شهادة آل هاشم في كربلاء

أروحـــــك أم روحُ الـــــنبوةِ تَصـــــعدُ ... مـــن الأرضِ للفـــردوسِ والحـــورُ سُـــجّدُ
رأسُـــكَ أم رأسُ الرســـولِ علـــى القنـــا ... بـــآيةِ أهـــلِ الـــهكفِ راحَ يُـــردّدُ
أصـــدرُكَ أمْ مُســـتودعُ العلـــمِ والحِجـــى ... لـــتحطيمِهِ جـــيشٌ مـــن الجهـــلِ يَعمـــدُ
فشـــاطرَتِ الأرضَ الســـماءُ بشـــجوها ... فـــواحدةٌ تـــبكي وأُخـــرى تُـــعدِّدُ
وقـــد نَـــصَبَ الـــوحيُ العـــزاءَ ببيتِـــه ... عـــليكَ حِـــداداً والـــمُعزّى مُحمـــدُ
فـــأيُّ شَـــهيدٍ أصـــلَتْ الشـــمسُ جســـمَهُ ... ومشـــــهدُها مـــــن نـــــورِهِ مُـــــتولّدُ
وأيُّ ذبـــيح داسَـــتِ الخيـــلُ صـــدرَهُ ... وفـــرسانُها مـــن ذِكـــرِهِ تـــتجمّدُ
ألـــم تـــكُ تـــدري أنَّ روحَ محمَّـــدٍ ... كقُـــرآنِهِ فـــي ســـبطِهِ مَـــتَجسِّدُ
فـــلو عـــلمَتْ تلـــك الخيـــولُ كأهلهـــا ... بـــأنّ الـــذي تـــحتَ الســـنابكِ أحمـــدُ
لـــثارَتْ عـــلى فُرســـانِها وتمـــردّتْ ... عـــليهم كمـــا ثارُوا بهـــا وتمـــردّوا[1]

ولما لم يبقَ مع الحسين (عليه السلام) إلاّ أهلُ بيته ، وهم وُلد عليٍّ (عليه السّلام) ، ووُلدُ جعفر وعقيل , وولدُ الحسنِ (عليه السّلام) ، وولدُ الحسينِ (عليه السّلام) ، اجتمعوا وجعل يودّع بعضُهم بعضاً ، وعزموا على ملاقاة الحتوف ببأس شديد ونفوس أبيَّة .

---

(١) مجمع المصائب ج ٢ .

عليُّ الأكبر (عليه السّلام)

وأوَّلُ مَنْ تقدَّمَ عليُّ بن الحسينِ الأكبرُ , وعمرُهُ سبعٌ وعشرون سَنةً ، ولما عَزَمَ عليُّ الأكبرُ على القتالِ وأقبلَ مستأذناً من أبيه نظَرَ إليه الحسينُ (عليه السّلام) نَظَرَ آيسٍ منْه ، وأرخَى عينيهِ بالدموعِ ، ورفَعَ شيبتَه نحو السماءِ وقال : ((اللّهمَّ اشهدْ على هؤلاءِ ، فقد بَرَزَ إليهم أشبهُ الناسِ خَلقاً وخُلُقاً ومنطِقاً برسولِك محمّد (صلّى الله عليه وآله) ، وكُنَّا إذا اشتقْنَا إلى رؤيةِ نبيّك نظرْنَا إليه . اللّهمَّ فامنعْهُم بركاتِ الأرضِ ، وفرّقْهم تفريقاً ، ومزّقْهُم تمزيقاً ، واجعلْهُم طرائقَ قِدَداً ، ولا تُرضِ الولاةَ عنْهُم أبَداً ؛ فإنّهم دعَوْنَا لينصرونا ، فعدَوْا علينا يقاتلونَنَا)) .

وصاحَ بِعُمرَ بنِ سعد : ((**ما لك يابنَ سعد ! قطَعَ اللهُ رَحِمَك كما قطعتَ رَحِمِي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وسلَّطَ عليك مَنْ يذبحُك بعدي على فراشك**))[1].

ثمّ تلا قولَه تعالى : (إِنَّ اللهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْض وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[2] .

ولما يَمّمَ الحرب عزَّ فراقُهُ على مخدّراتِ الإمامةِ فأحطنَ بهِ ، وتعلّقنَ بأطرافِهِ , وقلن له : ارحمْ غُربَتَنَا ، فلا طاقةَ لنَا على فراقِكِ . فلم يَعْبأ بهنَّ ، وتوجّه نحوَ القومِ ، وشدَّ عليهم شدَّةَ الليثِ الغضبانِ ، وهو يقولُ :

أنـــا علـــيُّ بـــنُ الحســـينِ بـــنِ علـــيْ ... نـــحنُ وبـــيتِ اللهِ أوْلى بالنَّـــبيْ
تاللهِ لا يـــحكُمُ فـــينا ابـــنُ الـــدَّعي ... أطـــعنُكُم بـــالرمحِ حـــتّى يَنثـــني
أضـــربُكم بالســـيفِ أحمـــي عـــن أبي ... ضـــربَ غـــلامٍ هـــاشمي عَلَـــوي

ولَمْ يزلْ يحملُ على الميمنةِ ويعيدُها على الميسرةِ ، ويغوصُ في الأوساط , فلم يُقابِلهُ جحفلٌ إلاّ ردَّهُ ، ولا بَرزَ إليهِ شجاعٌ إلاّ قَتلَه ؛ فقتلَ منهُم مقتلةً عظيمةً حتّى ضجَّ الناسُ من كثرةِ مَنْ قُتلَ مِنهُم .

ولما اشتدَّ بهِ العطشُ رجعَ إلى أبيه الحسين (عليه السّلام) قائلاً : يا أبه ، العطشُ قد قتلني ، وثِقلُ الحديدِ قد أجهدني ، فهلْ إلى شربةِ ماء من سبيل أتقوّى بها على الأعداء ؟

---

(١) بحار الأنوار ٤٥ / ٤٢ ، اللهوف / ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران / ٣٣ ـ ٣٤ .

فبكى الحسينُ (عليه السّلام) وقال : ((واغوثاه ! مِن أين آتي لكَ بالماءِ ؟ قاتلْ قليلاً ؛ فما أسرَعَ ما تلقى جدَّكَ رسولَ الله (صلّى الله عليه وآله) فيَسقيكَ بكَأسِه الأوفى شربةً لا تظمأُ بعدَها أبداً)) .

فرَجعَ عليٌّ الأكبرُ إلى الميدانِ , وجَعلَ يُقاتِلُ أعظمَ القتالِ ، فأكثرَ القَتْلى في صفوفِ الأعداءِ , فقالَ مُرّةُ بنُ منقِذ العبدي : عليَّ آثامُ العربِ إن لم أُثكِلْ بهِ أباه . فطعنَهُ بالرمحِ في ظهرِه ، وضربَهُ بالسيفِ على رأسه ففَلقَ هامتَهُ ، وضربه الناسُ بأسيافِهم فاعتنقَ فرسَهُ ، فاحتَملَه الفرسُ إلى معسكرِ الأعداءِ فقطّعوهُ بسيوفِهم إربْاً إربْاً .

فنادى رافعاً صوتَه : أبتاه , عليك منّي السّلام ، هذا جدّي رسولُ الله قد سَقّاني بكَأْسِه الأَوفى شربةً لا أظمأُ بعدَها أبداً[1] ، وهو يقول لك : ((العجل العجل ؛ فإنّ لكَ كأساً مذخورةً)) .

فجعلَ الحسينُ (عليه السّلام) يَتنفس الصعداءَ ، وصاحَ بأعْلى صوتِه : ((وا ولدَاه !)) . فتصارختِ النساءُ فسكّتهُنَّ الحسينُ (عليه السلام) ، وقال : ((إنَّ البكاءَ أمامكنَّ)) .

وحَملَ على القومِ ففرّقَهُم ، وأقبلَ إلى ولدِه مُسْرعاً وهو يقولُ : ((ولدي علي ، ولدي علي)) . حتّى وَصلَ إليهِ ورمى بنفسهِ عليه ، وأخذَ رأسَه فوضعَهُ في حِجرِهِ و وجَعلَ يمسحُ الدمَ والترابَ عن وجهِه ، واعتنقَهُ واضِعاً خدّه على خدّهِ وهو يقول : ((قَتلَ اللهُ قَوماً قتلوكَ يا بُنيَّ , ما أجرأَهَم على الرحمنِ وعلى انتهاكِ حرمة الرسولِ (صلّى الله عليه وآله) ! على الدنيا بعدكَ العفا يا بُنيّ ! أمّا أنتَ فقد استرحتَ منْ الدُّنيا وضَيمِها ، وقد صِرْتَ إلى روح وريحان ، وبقي أبوكَ ، وما أسرعَ لحوقِه بكَ))[2] .

وأمَرَ فتيانَه أن يحملُوهُ إلى الخيمةِ ، فجاؤوا به إلى الفسطاط الذي يُقاتلون أمامه ، فخرجت زينب (عليها السّلام) مسرعة وهي تنادي : يا حبيباه ! ويابن أُخيّاه ! ونكبت عليه , فجاءَها الحسينُ (عليه السّلام) وأَخذَ بيدِها فردَّها إلى الفسطاطِ .

---

(١) بحار الأنوار ٤٥ / ٤٢ ، اللهوف / ٤٨ .

(٢) سورة آل عمران / ٣٣ . ٤٤ .

(٣) اللهوف / ٤٩ ، مقاتل الطالبين / ١١٦ ، دموع الأبرار .

(٤) بحار الأنوار ٤٥ / ٤٣ ، مقاتل الطالبيين / ١١٥ .

عبدُ الله بن مسلم (عليه السّلام)

وخَرجَ من بعدهِ عبدُ الله بنُ مسلم بنِ عقيل ، وأمُّهُ رقيّةُ الكُبرى بنتُ أميرِ المؤمنينِ (عليه السّلام) وهو يقولُ :

الـــيومَ ألقَـــى مُســـلِماً وهْـــو أبيْ وعصـــبةً بادُوا علـــى ديـــنِ النـــبيْ

فقَتلَ جماعةً بثلاثِ حملات ، ورماهُ لعينٌ من القومِ بسهم فاتّقاه بيدهِ فسمَّرها إلى جبهتِهِ ، فما استطاعَ أنْ يُزيلَها ، فقالَ : اللّهُمَّ إنّهمْ استقلُّونا واستذلُّونَا ، فاقْتلْهُم كما قتلونَا .

وبينَما هُوَ على الحال هذا إذْ حملَ عليهِ رجلٌ برمحِهِ فطعنَهُ في قلبِهِ فماتَ (رضي الله عنه) .

آلُ بني طالب (عليهم السّلام)

ولما قُتلَ عبدُ اللهِ بنُ مسلم حَملَ آلُ أبي طالب حملةً واحدةً , فاعتوَرَهُم الناسُ وأحاطوا بهم ، فصاحَ الحسين (عليه السّلام) : ((صبراً على الموتِ يا بني عمومتي , لا رأيتم هواناً بعدَ هذا اليومِ)) .

فجَعلُوا يُقاتلونَ أشدَّ القتالِ ، فوَقعَ فيهمْ عونُ بنُ عبدِ الله بنِ جعفر ، وأُمُّه العقيلةُ زينبُ (عليها السّلام) ، وأخوهُ محمدٌ , وأمّهُ الخوصاءُ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عقيل ، وأخوهُ جعفرُ بنُ عقيل ، ومحمدُ بنُ مسلمِ بنِ عقيل ، ومحمدُ بنُ أميرِ المؤمنين ، وعبدُ اللهِ الأكبرُ بنُ عقيل , وكان آخرُهم محمدَ بنَ أبي سعيد بنِ عقيل (عليهم السّلام) .

وخَرجَ عبدُ اللهِ الأكبرُ بنُ الحسنِ (عليه السّلام) , وأمُّه رملةُ ، فقاتَلَ حتّى قُتِل .

وما زالَ آلُ أبي طالب يتسابقونَ إلى القتالِ حتّى انتهت النوبةُ إلى القاسمِ بنِ الحسنِ (عليه السّلام) , وهو غلامٌ لمْ يبلغِ الحلُم ، وأمّه رملةُ أيضاً ، فأقبلَ إلى عمّه الحسينِ (عليه السّلام) يستأْذنُه في القتالِ ، فنَظرَ إليه الحسينُ (عليه السّلام) ولمْ يملِكْ نفسَه دونَ أنْ تقدَّم إليه واعتنقَهُ ، وجَعَلا يبكيانِ ، وأبى أن يأذنَ لهُ ، فلم يزلْ القاسمُ يتوسَّلُ إليه ويُقبّلُ يديهِ حتّى أَذِنَ له ، فبَرزَ إلى الميدانِ راجِلاً وهو يقولُ :

إنْ تُـــنكروني فـــأنا نَجـــلُ الحَســـنْ سِـــبطِ النـــبيّ المصْـــطفَى والمـــؤتَمنْ

هـــذا حُســـينٌ كالأســـيرِ المـــرتَهَنْ بـــينَ أُناس لا سُـــقُوا صـــوبَ المـــزَنْ

فقاتَلَ مقاتلةَ الرجالِ الأبطالِ , وقَتلَ عَدداً من الأعداءِ ، لكنْ بينَما هُو يُقاتلُ انقطعَ شِسعُ نعلِه اليُسرى ، فوقَفَ ليشدّه غَيرَ مُكترث بالقومِ من حولِه ، فقالَ عمرو بنُ سعد بنِ نفيلِ الأزدي : والله لأشدنّ عليه . فما ولّى حتّى ضَربَ رأسَ القاسمِ بالسيفِ ففلقَهُ ، فوَقعَ لِوجهِهِ وصاحَ : يا عمّاه !

فأتاه الحسين (عليه السّلام) مُسرِعاً وقَتلَ قاتِلَه ، ثُمّ وقفَ عندَ رأْسِ القاسمِ وهو يفحصُ برجليهِ فقالَ : ﴿ يَعزُّ واللهِ على عمِّك أنْ تَدعوهُ فلا يُجيبُكَ ، أو يُجيبكَ فلا يعينُكَ ، أو يُعينُكَ فلا يُغني عَنكَ . بُعْداً لقوم قَتلَوكَ ! هذا يومُ كثُرَ واترُهُ وقلَّ ناصرُه﴾[1] .

ثمَّ احتملَه وكانَ صَدرُهُ على صَدرِ الحُسينِ (عليه السّلام) ورِجلاهُ يَخُطَّانِ في الأرضِ ، فَجاءَ بهِ إلى الخيمةِ ومدَّدَهُ معَ ولدِهِ عليّ الأكبرِ والقَتْلى منْ أهلِ بيتِهِ ، ثُمّ رَفعَ طَرْفَهُ إلى السّماءِ ، وقالَ : ((اللّهُمَّ أحصهِمْ عَدَداً ، واقتُلهُمْ بَدَداً ، ولا تُغادرْ مِنهُمْ أَحَداً ، ولا تَغفِرْ لهُم أَبَداً . صَبْراً يا بَني عُمومَتي ، صَبْراً يا أهْلَ بَيتي ، لا رَأيتُم هواناً بَعدَ هذا اليومِ أبَدَاً)) .

---

(١) الإقبال / ٤٩ ، الإرشاد / ٢٣٩ ، معالي السبطين ١ / ٤٥٤ .

العباسُ بنُ علي (عليه السّلام)

ولما رَأى العبَّاسُ بنُ عليٍّ (عليه السّلام) كَثْرَةَ القَتْلَى في أهْلِ بَيتِهِ ، قالَ لإخْوتِهِ الثلاثةِ من أُمِّه (أُمّ البنينِ) وأبيهِ أميرِ المؤمنينَ (عليه السّلام) ، وهم : عبدُ اللهِ وعُثمانُ وجعفرُ : تَقدّمُوا يا بَنِي أُمّي حتّى أراكُم قد نصحتُم للهِ ولرسولِهِ ؛ فإنّه لا وُلْدَ لَكُم(*) . فقاتَلَوا بينَ يدَي أبي الفضلِ وأبْلَوا بلاءً حَسَناً حتّى قُتِلوا بأجْمَعِهِمْ .

ولمْ يستطعْ العباسُ (عليه السّلام) صَبْراً على البَقاءِ بَعد مقْتلِ إخوتِهِ , وعُمومِ أهلِ بيتِ الحسينِ (عليه السّلام) وأصْحابِهِ ، فجاءَ إلى أَخيهِ الحسينِ (عليه السّلام) يَسْتأذِنُه في القتالِ ، ويطلبُ الرُخْصةَ منْهُ ، فما كانَ جوابُ الحسينِ (عليه السّلام) إلاّ أنْ قالَ : ((يا أخي ، أنتَ صاحبُ لِوائي ، وإذا مَضيتَ تفرّقَ عَسْكري))[1] .

فقالَ العباسُ (عليه السّلام) : يا أخِي ، قَد ضاقَ صدْري ، وأُريدُ أنْ آخُذَ ثَأري مِن هؤلاءِ المنافقينَ .

فقال الحسين (عليه السّلام) : ((**إذاً فاطْلبْ لهؤلاءِ الأطفالِ قَليلاً مِن الماءِ**))[2] .

فذهَبَ العباسُ (عليه السّلام) إلى القومِ ، ووعَظَهُم وحذَّرَهُم غَضبَ الجبّارِ ، وطلَبَ منهم شَيئاً من الماءِ للأطْفالِ ، فأجابَه الشمرُ اللعينُ قائلاً : يابنَ أبي تراب ، لو كان وجهُ الأرضِ كلُّه ماءً وهو تحتَ أيدينا لَمَا سقيناكُم منْهُ قَطرةً ، إلاّ أن تدخُلوا في بيعة يزيد .

فرَجعَ العباسُ إلى أخيه (عليه السّلام) وأخْبرَهُ بمقالةِ القومِ ، فسَمعَ الأطفالُ . ومعَهُم سُكَينَةُ بنتُ الحسينِ (عليه السّلام) ـ يُنادُون : العطشَ ، العطشَ ! فلم يتحمّلْ ذلكَ , فرَكِبَ جوادَهُ ، وأخَذَ سيفَهُ والقِربةَ وقَصَدَ الفُراتَ ، فأحاطَ بهِ أربعةُ آلافِ فارس , ورَمَوهُ بالنبال فلم يعبأ بِجَمعهِم , ولا راعتْهُ كثرتُهُم ، فكشفَهم عنْ وجهِه وقَتلَ عَدداً منهم .

(*) هكذا وردت هذه العبارة هنا , ولعلّ هناك سهواً أو خطأً ما وقع في رسمها أو طباعتها من قِبل الناسخ أو المؤلّف أو حتّى الراوي لها ؛ فأبو الفضل (عليه السّلام) أسمى وأرفع من أن يجعل سبب تقدم إخوته هو (فإنّه لا وُلْدَ لَكُم) . (موقع معهد الإمامين الحسنين)

ودَخلَ الفُراتَ مُطمئناً ، ثمّ اغْترَفَ من الماءِ غُرفَة وأدناها مِن فَمهِ فتذّكرَ عطشَ أخيه الحُسينِ (عليه السّلام) وعيالِه وأطفالِه , فرمَى الماءَ من يدِهِ وقالَ :

يا نفسُ من بَعِد الحُسينِ هُوني وبَعدَهُ لا كُنتِ أو تَكوني

هذا الحُسينُ واردُ المنونِ وتَشربينَ باردَ المَعينِ

تاللهِ ما هذا فِعالُ دِيني

ثمّ ملأَ القِربةَ وحَمَلَها على كتفِه الأيمنِ ، وركبَ جوادَه وتوّجَهَ نَحوَ المخيّمِ مُسْرِعاً ، فقَطعَ الأعداءُ عليه الطريقَ فجَعلَ يصولُ في أوْساطِهِمْ ، ويَضربُ فيهم بِسيفِهِ حتّى أكثرَ القتلَ فيهِم وكَشفَهم عن الطريقِ , وهو يقولُ :

لا أرهبُ الموتَ إذا الموتُ زَقَا حتّى أُوارَى في المصاليتِ لُقَى

نفسِي لسبطِ المصطفَى الطُهرِ وِقَا إنّي أنَا العباسُ أغْدُو بالسِّقا

ولا أخافُ الشرَّ يَومَ المِلتقَى

فكَمُنَ لهُ زيدُ بنُ الرَّقاد الجُهَنِي منْ وَراءِ نَخْلة , وعاوَنَه حكيمُ بنُ الطُفيلِ السنبسِي , فضربَهُ على يمينهِ بالسّيفِ فبَراها ، فقالَ (عليه السّلام) :

واللهِ إنْ قَطَعْتُمُ يَميني إني أُحَامي أبَداً عن دِيني

وعنْ إمام صَادقِ اليَقينِ نَجلِ النبيّ الطّاهرِ الأمينِ

وأَخذَ السّيفَ بشِمالِهِ , وضمَّ اللواءَ إلى صدرِهِ , وحَملَ على القومِ كالأسدِ الغَضْبانِ ، لكنَّ حكيمَ بنَ الطُفيلِ الطّائِي كَمُنَ لَهُ مِن ورَاءِ نَخْلَة أُخْرى وضَربَه على شِمالِه فقَطعَها من الزّندِ ، فقالَ (عليه السّلام) :

يا نفـــسُ لا تَخشَـــي مـــنَ الكُفَّـــارِ وأبْـــشرِي بـــرَحمةِ الجبّـــارِ

مـــعَ النـــبيّ المصـــطْفَى المختـــارِ قـــدْ قَـــطعُوا بِبَغْـــيِهِمْ يَسَـــاري

فأصْلِهِمْ يا ربّ حرَّ النّار

فَعندَ ذلكَ وقَعَ السّيفَ من يدِهِ ، وجَعلَ يُسْرعُ ليُوصِلَ الماءَ إلى المخيّمِ ، فلمّا نَظرَ ابنُ سعدْ إلى شدّةِ اهْتمامِ العبَّاسِ (عليه السّلام) بالقِربةِ ، صَاحَ بالقومِ : ويلَكُمْ ! ارشقوا القِربةَ بالنبلِ ؛ فواللهِ إنْ شَربَ الحُسينُ من هذا الماء أفناكم عن آخرِكمْ .

فأتْته السِّهامُ كالمطرِ وأصابتْهُ في صدرِهِ ، وسَهمٌ أصَابَ إحدّى عينيهِ فأَطْفأَها ، وجَمُدَ الدمُ على عينهِ الأُخْرَى فلَم يُبْصرْ بِها ، وأَصابَ القِربَةَ سَهمٌ فأُرِيقَ ماؤُها , وضَربَهُ لعينٌ بالعمودِ علَى رأْسِه ففلقَ هامَتَه ، وسقَطَ على الأرضِ مُنادياً : عَليكَ منّي السلامُ أبَا عَبدَ الله .

فأتَاهُ الحُسينُ (عليه السّلام) مُسْرِعَاً ، ففَرّقَ القومَ عنْهُ ، وقَتلَ مِنهُم رِجَالاً وجَندلَ فُرسَاناً ، حتّى إذا وَصَلَ إليهِ رَآهُ مَقطوعَ اليَدينِ ، مَفضوخَ الهامةِ ، مُطْفأ العَينِ ، مُثْخَناً بالجراحِ ، فأَخَذَ رأَسَهُ الشّريفِ ووَضَعَهُ في حِجْرِهِ ، وجَعَلَ يَمْسَحُ الدَمَ والتُرابَ عنْه ، وقالَ بَاكياً : ((الآن انكسَرَ ظَهرِي ، وقلّتْ حيلَتي ، وشَمُتَ بِي عَدوّي))[٣] .

ثُمّ انْحنَى عليهِ واعْتَنَقَهُ وجَعَلَ يُقَبّلُهُ ، ففَاضَتْ رُوحُ العباسِ المقدَّسةِ بينَ يَدَي أخيه الحُسينِ (عليه السّلام) ، فَتَرَكَهُ في مكانِهِ ورَجَعَ إلى المخيّمِ ، وقَدْ تَدافعَتْ الخَيلُ والرّجالُ علَى مُخَيّمِه ، فَنادَى : ((أمَا مِن مُغيث يُغيثُنَا ؟ أمَا مِنْ مُجير يجيرنا ؟ أمَا مِن طالب حقٍّ فَيْنصُرَنا ؟ أَمَا منْ خائف منْ النارِ فيذبّ عنّا ؟)) .

فأتَتْهُ سُكينةُ وسألَتْهُ عن عمّهَا فأَخْبَرَها بمَقْتَلِهِ ، وسَمَعَتْهُ زينبُ (عليها السّلام) فَصَاحتْ : وا أخاه ! وا عبَاساه ! وا ضَيعتَنا بعدَكَ ![٤] .

وحدةُ الحُسينِ (عليه السّلام)

ولما بَقيَ الحُسينُ وَحِيداً فَريدَاً قد قُتِلَ جَميعُ أَصْحابِهِ وأهلُ بيتِهِ ، ورآهَم على وَجهِ الأرْضِ مُجزَّرينَ كالأضَاحي ، ولَمْ يَجدْ أحَداً ينصرُهُ ويذبُّ عنْ حَريمِهِ ، وهو إذْ ذاكَ يَسمعُ عويلَ العيالِ وصُراخَ الأطفالِ , فَعندَ ذلكَ نَادَى بأَعْلَى صَوتِهِ : ((هلْ مِنْ ذابٍّ عن حرمِ رسولِ اللهِ ؟ هلْ من مُوَحدّ يخافُ اللهَ فينا ؟ هلْ مِنْ مغيث يَرجُو اللهَ في إغاثَتِنَا ؟)) .

فارتَفَعَتْ أصواتُ النّساءِ بالبُكاءِ والعَويلِ .

---

(١) بحار الأنوار ٤٥ / ٤١ ، نفس المهموم / ٣٣٦ .

(٢) مصائب آل محمّد / ٣١٧ ، مقتل الحسين . للمقرم / ٣٢٨ .

(٣) بحار الأنوار ٤٥ / ٤٢ ، مصائب آل محمّد / ٣٢٢ .

(٤) دموع الأبرار .

الإمامُ زينُ العابدينَ (عليه السّلام)

ونَهَضَ عليٌّ بنُ الحسينُ زينُ العابدينَ (عليه السّلام) وخَرجَ مِن الخيمةِ وهوَ يتوّكأُ علَى عصا , ويجرّ سيفَه ؛ إذْ لا يقدرُ على حملِهِ لأنّه كانَ مَرِيضَاً لا يستطيعُ الحركةَ , فَصاحَ الحُسينُ (عليه السّلام) بأُمِّ كُلثوم : ((احْبِسيهِ يا أُخْتاهُ ؛ لئلاّ تَبقَى الأرضُ خاليةً من نسْلِ آلِ محمّد (صلّى الله عليه وآله))) .

فقالَ زينُ العابدينَ (عليه السّلام) : ((يا عَمّتاه ، ذَريني أُقاتِلُ بينَ يدَي ابنِ رسولِ اللهِ)) . فأَخذَتْ أُمُّ كُلثوم تُمانعُه ، وتُنادي خَلفَهُ : يا بُنَي , ارجعْ . حتّى أرجَعَتْه إلى فراشِهِ .

شهادة الحسين (عليه السّلام)

ولما عزَمَ الحسينُ (عليه السّلام) على ملاقاةِ الحتُوفِ جاءَ ووَقفَ بِبابِ خَيمةِ النّساءِ مُودِّعاً لحرمِهِ , وهُنَّ مُخدّراتُ الرّسالةِ وعقائلُ النبوةِ ، ونادَى : ((يا زينبُ ، يا أُمَّ كُلثوم ، يا فاطمةُ , ويا سُكَينةُ عَليكُنّ منّي السّلامُ)) .

فأقبلنَ إليهِ ودُرْنَ حَوْلَهُ ، ولسانُ حالِ زينبَ (عليه السّلام) يقولُ :

قُومُـــوا إلى التودِيـــعِ إنَّ أَخـــي دَعـــا ... بِـــــجوادِهِ إنَّ الـــــفراقَ طـــــويلُ

فخَـــــرْجَنَ ربّاتُ الحِجَـــــالِ حَواسِـــــراً ... وغَـــدَا لهـــا حَـــوْلَ الحُســـينِ عَويـــلُ

ونادته سكينة : يا أبَه ، استسلمتَ للموتِ ؟! فقالَ : ((كيفَ لا يستسلمُ للموتِ مَنْ لا ناصرَ لَهُ ولا مُعين ؟)) . فقالَتْ : رُدَّنا إلى حرمِ جَدِّنا رسولِ اللهِ (صلّى الله عليه وآله) . فقالَ : ((هيهاتَ ! لو تُركَ القَطا لغفا ونامَ)) .

فرَفعتْ سُكينةُ صوتَها بالبُكاءِ والنحيبِ ، فضَمَّها الحسينُ (عليه السّلام) إلى صَدْرِهِ ، وكانَ يُحِبُّها حُبَّاً جَمَّاً ، ومَسحَ دُموعَها بِكُمّهِ قائلاً :

ســـيَطولُ بَعـــدي يا سُـــكينةُ فـــاعْلَمِي ... مِـــنكِ البُكـــاءُ إذا الحِمـــامُ دَهـــاني

لا تُـــحرِقِي قَلـــبِي بِـــدمعِك حَســـرةً ... مـــا دَامَ مـــنِّي الـــروحُ في جُثمـــانِي

فـــإذا قُـــتلتُ فأنـــتِ أَوْلَى بالـــذي ... تـــأتِينَه يـــا خِـــيرةَ الـــنِّسوانِ

عبدُ اللهِ الرّضيع (عليه السّلام)

ثُمَّ دَعا الحسينُ (عليه السّلام) بِوَلّدِهِ عَبدِ اللهِ الرضيعِ ليُودِّعَهُ ، فأَجْلَسَهُ في حِجْرِهِ وأَخذَ يُقبِّلُهُ ويقولُ : ((ويلٌ لهؤلاءِ القومِ إذا كانَ جَدُّكَ المصطَفى خَصمَهُمْ !)) .

وفي بعض المقاتِلِ : ثُمّ أَتَى بِهِ نَحوَ القَومِ يَطلِبُ لَهُ الماءَ , وقالَ : ((إنّ لَمْ تَرحَمونِي فارحَمُوا هذا الطفلَ)) . فرَماهُ حَرْملةُ بنُ كاهلِ الأسدي بسهم فذَبَحَهُ وهو في حجرِ أبيهِ ، فتَلَقّى الحُسينُ (عليه السّلام) الدّمَ بكَفّهِ ورَمَى بِهِ نَحوَ السّماءِ . فعن الباقرِ (عليه السّلام) : ((إنّه لَم يَسقُطْ منْ ذلكَ الدم قَطرةٌ إلى الأرضِ)) .

ثُمّ قالَ الحسينُ (عليه السّلام) : ((هُوَّنَ ما نَزَلَ بِي إنّهُ بعينِ اللهِ تَعالى)) . ثُمَّ وَضَعَهُ معَ القَتلى منْ أهلِ بيتِهِ ، وأَمَرَ عيالَه بالسكوتِ ، وودّعَهم ثانياً .

وكانَتْ عليهِ جُبّةُ خزٍّ دَكناءُ ، وعِمامةٌ مورّدةٌ أرْخَى لها ذؤابتين ، والتحَفَ بِبُردةِ رسولِ اللهِ (صلّى الله عليه وآله) ، ولَبِسَ دِرْعَهُ وتقلّدَ بِسيفِهِ ، وطلَبَ ثَوباً لا يرغَبُ فيه أحدٌ يلبسُه تحتَ ثيابِه لئلاّ يُجرّدُ مِنْهُ ؛ فإنّه مقتولٌ مسلوبٌ ، فأتَوهُ بِتبّان فلمْ يرْغبْ فيهِ ؛ لأنّه لباسٌ مَنْ ضُرِبَتْ علَيه الذّلّةُ ، فأَخذَ ثَوباً خَلِقاً فمزّقَه وجَعلَهُ تَحتَ ثِيابِه ، ودَعا بسرواويلَ حبرة ففزرَها ولبَسَها لئلاّ يُسلبَها .

نحو الشهادة

ثُمّ تقدّمَ (عليه السّلام) نحوَ القَومِ مُصْلِتَاً سيفَهُ , آيساً من الحياةِ , عازِماً على الشهادةِ ، ودعا الناسَ إلى البرازِ , فَلَمْ يَزَلْ يَقْتلُ كلَّ مَنْ بَرزَ اليهِ حتّى قَتلَ جَمْعاً كَثيراً ، وهو يقولُ :

أَنَــا ابــنُ علــيّ الطُّهــرِ مِــنْ آلِ هاشِــمٍ كَــفانِي بــهذا مَــفْخَراً حــينُ أفخــرُ
وجَــدّيْ رســولُ اللهِ أكــرمُ مَــنْ مَضَــى ونَحــنُ سِــراجُ اللهِ في الأرضِ نُزهــرُ
وفــاطمةُ أُمّــي ابنــةُ الطُّهــرِ أحمــدٍ وعَــمّيَ يُــدْعَى ذا الجِنــاحين جَعفــرُ

ثمّ حمل على الميمنة وهو يقول :

المــوتُ أولَى مــن ركــوبِ العــارِ والعــارُ أولَى مــنْ دُخــولِ النَّــارِ

ثُمّ حَملَ علَى المَيسرةِ وهو يَقول :

أنــا الحُســينُ بــنُ علــيّ آلــيتُ أنْ لا أَنــثَنِي
أَحْــمِي عــيالاتِ أَبِي أمْضِــي علــى ديــنِ النــبيْ

قال بعضُ مَنْ حضَرَ المعرَكَة : فواللهِ ، ما رَأيتُ مَكثُوراً قَط قَد قُتِلَ وِلْدُهُ وأهلُ بيتِهِ وصحبُهُ أَرْبطَ جَأشاً مِنْهُ ، ولا أمْضَى جِناناً ولا أَجْرأَ مَقدَماً ، ولَمْ أرَ قبلَهُ ولا بَعدَهُ مثلَهُ ! ولقَد كانَتْ الرِّجالُ لتَشدُّ عليهِ فيشدُّ علَيها فتَنْكشفُ بَينَ يَديهِ إذا شدَّ عليها ، ولقدْ كانَ يَحمِلُ عليهم وقد تَكامَلُوا ثلاثين ألفاً فينهزمونَ بينَ يديهِ كأنَّهُمْ الجَرادُ المنتَشِرُ ، ولَمْ يَثبتْ له أحدٌ ، ثُمَّ يَرجِعُ إلى مركزِهِ وهو يَقولُ : ((لا حولَ ولا قوَّةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيمِ)) حتّى قَتلَ منهُمْ مَقتلةً عَظيمةً .

فَعِندَ ذلكَ صاحَ عُمرُ بنِ سعد بِقومهِ : الويلُ لكُم ! أَتدرونَ مَنْ تُقاتِلونَ ؟! هذا ابنُ الأنزعِ البطينِ ، هذا ابنُ قتّالِ العَربِ ، احْمِلُوا عليهِ منْ كلّ جانب .

فاسْتدعَى شِمرٌ الفُرسانَ ، فَصارُوا في ظهرِ الرَّجالةِ ، وأمَرَ الرماةَ أنْ يَرمُوهُ , وكانُوا أربعةَ آلاف , فَرشَقُوهُ بالسِّهامِ ، وجاءَ الشّمرُ في جَماعَة منْ أصْحَابه فحالُوا بينَ الحسينِ (عليه السّلام) وبينَ رحلِهِ وعيالِهِ ، فصاحَ بِهِمْ : ((ويَحَكُمْ يا شيعةَ آلَ أَبي سُفيانَ ! إنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ دِينٌ ، وكُنتُمْ لا تخَافَونَ المعاد ، فَكونُوا أحراراً في دُنْياكُم ، وارجِعُوا إلى أحْسابِكُمْ إنْ كُنتُم عُرُباً كَما تَزْعُمُون)) .

فقالوا له : ما تقولُ يابن فاطمة ؟

فقال : ((أقولُ : أنا الذي أُقاتُلكُم وتُقاتِلُوني ، والنساءُ ليسَ عليهَّن جُناحٌ ، فامنعَوا عتاتَكم وجُهّالكُم عن التعرضِ لحرمي ما دمتُ حيّاً)) .

فقالَ شمرٌ : لك ذلك يا حسينُ . ثمّ صاحَ بالقومِ : إليكُم عن حرمِ الرَجلِ ، فاقصدُوهُ بنفسِهِ ؛ فلعَمري لهو كفؤٌ كريمٌ .

فقصدَهُ القومُ واشتدّ القتالُ ، وجَعلَ يَحملُ عليهم ويحملونَ عليهِ وقدْ اشتدّ بهِ العطشُ ، وكلّما حَملَ بفَرسهِ علَى الفُراتِ حَملوا عليهِ حتّى أجلَوْهُ عنْهُ ، ودنا من الفرات ثانياً , فرماهُ الحُصينُ بنُ نُمير بسهم وَقعَ في فمهِ الشريفِ ، فَجعلَ يتلقّى الدمَ من فمهِ ويَرمي بهِ نحوَ السماءِ .

وفي رواية : رماهُ رجلٌ دارميٌّ بسهم أثْبَتَهُ في حنكِهِ الشريفِ , فانتزعَ الحسينُ (عليه السّلام) السهمَ من حنكِهِ ، وبسطَ يديهِ تحتَ الجرحِ , فلّما امتلأتْ راحتَاه من الدمِ رمى بهِ نحوَ السماءِ وقالَ : ((اللّهمّ إنّي أشْكو إليكَ ما يُفعلُ بابنِ بنتِ نبيّكِ . اللّهمّ أحصهم عَدداً ، واقتلُهمْ بَدداً ، ولا تُبقِ مِنهُم أَحداً)) .

وحَملَ من نحو الفراتِ على الأعْورِ السّلَمي وعَمْرو بنِ الحجّاجِ , وكانَا في أربعةِ آلاف , فكَشفَهُم عن الماءِ وأقْحمَ الفرسَ في الفُراتِ ، ولما مدّ الحُسينُ (عليه السّلام) يدَهُ إلى الماءِ ليَشربَ ناداهُ لعينٌ من القومِ : يا حُسينُ ، أتلتذ بِشربِ الماءِ وقد هُتِكَتْ حُرمُكَ !

فنفضَ الماءَ من يدهِ ولمْ يَشربْ ، وحَملَ علَى القَومِ فَكشفَهم وقَصدَ الخيمةَ فإذا هيَ سالمةٌ .

ثمّ إنّه (عليه السّلام) ودّع عياله ثالثاً , وأمرَهم بالصبرِ ، ولَبِسَ الأُزُرَ ، ووَعدَهم بالثواب والأجْرِ ، وقالَ لَهم : ((استعدّوا للبلاءِ ، واعلموا أنّ اللهَ تعالى حاميكُمْ وحافظُكمْ ، وسيُنجّيكُم من شرّ الأعداءِ ، ويَجعلُ عاقبةَ أمركم إلى خير ، ويُعذّبُ عدوّكُم بأنواعِ العذابِ ، ويُعَوّضَكُمْ [عن هذه البلية بأنواع النعم والكرامة ، فلا تشكّوا ، ولا تقولوا بألسنتكم] ما يَنقصُ منْ قَدرِكُم)) .

فصاحَ عُمَرُ بنُ سعد بقومهِ : ويَحكُم ! اهجموا عليهِ ما دامَ مشغولاً بنفسهِ وحرمِهِ ، واللهِ إنْ فَرِغَ لكُم لا تَمتازُ ميمنَتُكُم عن ميسرتِكُم . فَحَملُوا عليهِ يرمونَه بالسّهامِ حتّى تَخالفتْ السّهامُ بينَ أطنابِ المخيّم ، وشكّ سهمٌ بعضَ أُزُرِ النّساءِ , فَدُهشْنَ وأُرْعبْنَ وصِحْنَ , ودَخلْنَ الخَيمةَ وهُنّ يَنْظُرنَ إلى الحسينِ كيفَ يَصنعُ .

فَحملَ على القومِ كالليثِ الغَضبانِ ، فلا يَلحقُ أَحداً إلاّ بَعجَهُ بسيفِهِ فقَتلَهُ , أو طَعنَهُ بِرمحِهِ فَصَرعهُ ، والسِّهامُ تَأخذُه من كلّ جانب وهو يتّقيها بصدرِهِ ونحرِهِ , ويقولُ : ((يا أُمّةَ السّوءِ ، بِئْسَما خَلّفتُم مُحَمَداً في عترتِهِ ! أمَا إنّكُم لن تَقتُلوا بَعدي عَبْداً من عبادِ اللهِ فتَهابُون قتلَهُ ، بلْ يَهونُ عليكُم ذلك عندَ قتلِكُم إيّايَ . وأَيمُ اللهِ إنّي لأَرْجو أن يكرمَني الله بالشهادةِ ، ثُمْ ينتَقِمُ لي مِنكُم من حيثُ لا تشعُرُونَ)) .

فناداهُ الحُصينُ بنُ مالك : وبماذا ينتقمُ لكَ منّا يابنَ فاطمة ؟

فقالَ الحُسينُ (عليه السّلام) : ((يُلقِي بَأسَكُم بينَكُم ، ويَسِفكُ دماءَكُم ، ثُمّ يَصبُّ عليكُم العذابَ الأليمَ)) .

ورَجعَ (عليه السّلام) إلى مركزِهِ وهو يُكثِرُ من قَولِ : ((لا حولَ ولا قوّةَ إلاّ بـاللهِ العـلّي العظـيمِ)) . وطَلَبَ في هذه الحالِ ماءً ، فقالَ لهُ الشّمرُ : لا تَردُهُ حتّى تَرِدَ النارَ . وناداهُ لعينٌ من القومِ : يا حسينُ ، ألا تَرَى الفُراتَ كأنّه بُطونُ الحيّاتِ ، فلا تَشربُ منْهُ قَطرةً حتّى تموتَ عَطَشاً .

فقالَ الحُسينُ (عليه السّلام) : ((اللّهمّ أَمِتْهُ عَطَشاً)) . فكان ذلكَ الرجلُ يَطلبُ الماءَ فيُؤتَى بهِ فَيَشربُ حتّى يخرجَ من فيهِ ، وما زالَ كذلكَ إلى أن ماتَ عَطَشاً .

ورماه أبو الحتوفِ الجُعفِي بسهم وَقعَ في جبهتِهِ المقدّسةِ فنَزعَهُ وسالَتْ الدِماءُ على وجهِهِ وكريمتِهِ ، فقالَ : ((اللّهمّ إنّكَ تَرى ما أنا فيه من عبادِكِ هؤلاءِ العُصاةِ . اللّهمّ أحصهِمْ عَدَداً ، واقتُلْهُم بَدَداً ، ولا تَذَر على وجهِ الأرضِ منهُم أحداً ، ولا تَغفرْ لَهُم أَبَداً)) .

ثُمّ لم يزلْ (عليه السّلام) يُقاتِلُ حتّى أَصابَتْهُ جِراحاتٌ كَثيرةٌ , وكُلُها في مُقَدَّمهِ الشريفِ ، وكانَتْ السّهامُ في دِرعه كالشّوكِ في جِلْد القُنفذِ .

ولما ضَعُفَ عن القتالِ وقفَ ليستريحَ قَلَيلاً فَرماهُ رجلٌ بِحجَر في جبهتِه الشّريفةِ فسالَتْ الدِّماءُ على وجهِهِ ، فأَخذَ الثَوبَ لِيَمْسحَ الدمَ عن وجهِهِ وعينيهِ فأَتاهُ سهمٌ مُحدَدٌ مسمومٌ لهُ ثلاثُ شُعِب وَقعَ على قلبِهِ ، فقالَ (عليه السّلام) : ((بِسمِ اللهِ وباللهِ وعلى ملّةِ رسولِ الله (صلّى الله عليه وآله))) .

ورَفعَ رأسَهُ إلى السماءِ وقالَ : ((إلهي إنّكَ تعلَمُ أنّهم يَقتِلونَ رَجُلاً ليسَ على وجهِ الأرضِ ابنُ بِنتِ نَبيٍّ غَيرُهُ)) .

ثُمّ أَخذَ السّهمَ فأَخْرَجَهُ من وراءِ ظَهرِهِ ، فانبعثَ الدمُ كالميزابِ , فوَضعَ يَدَهُ تَحتَ الجُرحِ , فلّما امتلأَتْ دَماً رَمَى بِهِ نحوَ السّماءِ ، وقالَ : ((هَوّنَ عليّ ما نَزلَ بِي إنّهُ بعينِ اللهِ)) . فلمْ تَسقُطْ من ذلك الدّم قَطرةٌ إلى الأرضِ ، ثُمَ وَضعَ يَدَهُ ثانياً , فلمّا امتلأَتْ لطّخَ بِهِ رأسَهُ ووَجْهَهُ ولحيَتَهُ ، وقالَ : ((هكذا أكون حتّى أَلقَى اللهَ وجدّي رسولَ الله (صلّى الله عليه وآله) وأَنا مُخضَّبٌ بدمي)) .

ولما أُثْخِنَ (عليه السّلام) بالجِراحِ طعنه صالحٌ بنُ وهب المرّي في خاصرتِهِ طعنةً , فسقَطَ عن فرسِهِ إلى الأرضِ على خدّهِ الأيمنِ وهو يقولُ : ((بِسمِ اللهِ وباللهِ وعلَى ملّةِ رسولِ اللهِ (صلّى الله عليه وآله))) .

وأعياهُ نَزفُ الدّمِ , فجَلَسَ على الأرضِ يَنوءُ برقبتِهِ ، فانْتَهى إليه في تلكَ الحالِ مالكُ بنُ النَّسر الكندي , فشتَمَهُ ثُمّ ضرَبَهُ بالسيفِ على رأسِهِ ، وكانَ عليهِ بُرنُسٌ فامْتَلأَ البُرنُسُ دَماً ، فقالَ الحُسينُ (عليه السّلام) : ((لا أكلتَ بيمينِكِ ولاَ شربْتَ بِها ، وحَشَرَكَ اللهُ مع الظالمينَ)) . ثم ألقى البُرنُسَ وشدّ رأسَهُ بخرقَة استدعاها ، ودعا بقُلْنُسْوَة فلَبِسَها واعتمّ عليها .

عبد الله بن الحسن (عليه السّلام)

وأَخذَ الكندي ذلكَ البُرنُسَ , ولم يزلْ بَعدَ ذلكَ فقيراً , وشُلّتْ يَداه حتّى ماتَ . ثُمّ إنّهم لَبثُوا هنيهةً وعادُوا إلى الحسينِ (عليه السّلام) , وأَحَاطُوا بهِ وهو جالسٌ على الأرضِ لا يستطيعُ النُهوضَ ، فنَظرَ عبدُ اللهِ بنُ الحسنِ (الأصغر) ـ ولهُ إحدَى عشرةَ سنة ـ إلى عمّهِ وقد أَحْدقَ بهِ القومُ , فأَقْبَلَ يشتَدُّ نحوَ عمّهِ ، فصاحَ الحُسينُ (عليه السّلام) بأُخْتِهِ زينبَ : ((احبسيهِ يا أُختاهُ)) .

فلَحقَتْهُ وأرادَتْ حبسَهُ , فأَفلَتَ من بينِ يديها وأَبَى عليها ، وقالَ : لا واللهِ لا أُفارِقُ عَمّي . فجاءَ حتّى وقفَ إلى جَنْبِ عمّهِ الحُسينِ (عليه السّلام) , فجاءَ بحرُ بنُ كعب وأَهْوى إلى الحُسينِ (عليه السّلام) بالسيفِ لِيَضْرِبَهُ ، فقال له الغُلام : ويلَكَ يابنَ الخَبيثةِ ! أتَقتلُ عمّي؟!

فَضربَهُ بالسيفِ فاتَّقاهُ الغلامُ بيدِهِ فأَطَنَّها إلى الجلدِ فإذا هي مُعلّقةٌ ، فصاحَ : يا عمّاهُ ! فأَخَذَهُ الحُسينُ (عليه السّلام) وضَمّهُ إليهِ ، وقالَ : ((يابنَ أخِي ، اصبرْ على ما نَزلَ بِكَ ، واحتسبْ في ذلك الخير ؛ فإنّهُ يُلحقُكَ بآبائِكَ الصالحينَ)) .

فَرماهُ حرملةُ بنُ كاهلِ بسهم فذَبحَهُ وهو في حِجرِ عمّهِ الحسين (عليه السّلام) ، فَرفعَ الحُسينُ (عليه السّلام) يَديهِ إلى السماءِ قائلاً : ((اللُهمّ إنّ متّعتَهُم إلى حين ، ففرّقْهُم فِرقَاً , واجْعلْهُم طَرائقَ قدِداً ، ولا تُرضِ الولاةَ عَنْهُم أَبَداً ؛ فإنّهُم دَعَوْنا لِيَنصِرُونا فعَدَوا علينا يقاتُلُونَنا)) .

ومكثَ الحُسينُ (عليه السّلام) طويلاً من النهارِ مَطروحاً على وجهِ الأرضِ ، ولو شاؤُوا أنْ يقتُلوه لفَعلَوا إلاّ إنّ كلّ قبيلة تتّكلُ على الأُخرى وتكرهُ الإقدامَ ، فنادى شمرٌ بالناسِ : ويحكُمْ ! ما تنتظرونَ بالرجلِ ؟ أُقتلُوه ثكلتْكُمْ أُمهاتُكُمْ !

فحَمَلُوا عليهِ من كلّ جانب ؛ فضَربَهُ زرعةُ بنُ شريكِ التميمي على كتفِهِ (الأيسر) ، وضَربَهُ آخرُ على عاتِقِهِ المقدّسِ بالسيفِ ضربةً كبا بها على وجهِهِ ، وكانَ قد أَعيا , فجَعلَ ينوءُ برقبتِهِ ويكبُو على الأرضِ ، وفي تلكَ الحالِ حمَلَ عليهِ سنانُ بنُ أنس النَخعي فطَعنَهُ بالرمحِ في ترقوتِهِ فوقَعَ ، ثُمّ انتزعَ الرمحَ فطَعنَهُ في بوانِي صدرِهِ ، ثُمّ رماهُ بسهم وقعَ في نَحرِهِ ، فنزَعَ السّهمَ من نحرِهِ وقرنَ كفّيهِ جميعاً ، فكُلّما امتلأَتَا من دمائِهِ خَضّبَ بهما رأسَهُ ولحيَتَهُ ، وهو يقولُ : ((هكذا ألقَى اللهَ مُخَضّباً بدمِي , مَغْصوباً عليّ حقّي)) .

قالَ هلالُ بنُ نافع : كنتُ واقفاً معَ أصحابِ عُمَرِ بنِ سعد , فخَرجْتُ بينَ الصفّينِ ووقفتُ على الحسينِ وهو طَريحٌ على الأرضِ , وإنّهُ ليَجودُ بنفسِهِ , فواللهِ ما رأيتُ قَتيلاً مضرّجاً بدَمِهِ أحسنَ منْهُ ولا أنورَ وجْهاً ، ولقَدْ شغلَنِي نورُ وجهِهِ وجَمالُ هيئتِهِ عن الفكرة في قتلِهِ , فاستسقَى في تلكَ الحالِ ماءً ، فسمعتُ رَجُلاً يقولُ له : واللهِ لا تذوقُ الماءَ حتّى تردَ الحاميةِ فتشربَ من حَميمِها .

فسمعتُهُ يقولُ : ((يا ويلكَ ! أنَا لا أردُ الحاميةَ ، ولا أشربُ من حَميمِها ، بل أردُ على جدّي رسولِ اللهِ (صلّى الله عليه وآله) وأسكُنُ معَهُ في دارِهِ , في مقعَدِ صدق عندَ مليك مُقتَدِر ، وأشربُ من ماء غيرِ آسن ، وأشْكو إليه ما ارتَكبتُم منّي وفعلتُم بِي)) .

قال : فغضبِ ُوا بأجمَعِهِم حتّى كأنّ اللهَ لمْ يجعلْ في قلبِ أحد من الرحمةِ شَيئاً .

وأقْبلَ فرسُ الحُسينِ (عليه السّلام) يَدورُ حولَهُ ويُلطّخُ ناصيَتَهُ بدِمِهِ ، ويشَمُّهُ ويَصهلُ صَهيلاً عَالياً . وعنْ الإمامِ الباقرِ (عليه السّلام) أنّه كانَ يقولُ في صهيلِهِ : ((الظليمةَ الظليمةَ من أُمّة قتلَتْ ابنَ بنتِ نبيّها !)) .

وتوجَّهَ نحوَ المخيّمِ بذلكَ الصهيلِ الحزينِ ، فلمّا نظرَت النساءُ إلى الجوادِ مخزيّاً ، وسرجُهُ عليهِ ملويّاً , برزْنَ من الخُدورِ ... بعدَ العزِّ مذلّلاتٌ ، وإلى مَصرعِ الحُسينِ مُبادِراتٌ ، تتقدمهُنّ الحوراءُ زينبُ (عليها السّلام) وهي تُنادي : ((وا مُحمّداهُ ! وا عليّاه ! وا جعفراه ! وا حمزتاه ! وا سيداه ! هذا حسينٌ بالعراء ، صريعٌ بكربلاء ، ليتَ السماءَ أُطْبِقَتْ على الأرضِ ، وليتَ الجبالَ تَدكدَكَتْ على السَهلِ))[1] .

وانتهتْ زينبُ (عليها السّلام) نحوَ الحُسينِ (عليه السّلام) ، وقد دَنَا منْهُ عُمَرُ بنُ سعد ، . والحُسينُ يَجودُ بنفسِهِ . فصاحتْ بهِ : أيْ عُمَر , ويحكَ ! أيُقتَلُ أبُو عبدِ اللهِ وأنتَ تَنظرُ إليهِ ؟! فَصرَفَ وجهَهُ عنْها , فعندَ ذلكَ صاحَتْ بالقومِ : ويحَكم ! أما فيكم مسلم ؟! فلَم يُجبْها أحدٌ .

ثُمّ صاحَ ابنُ سعد بالناسِ : انزلُوا إليهِ فأَريْحوهُ . فنَزلَ إليهِ شِمرُ بنُ ذي الجوشنِ فَرَفَسَهُ برجلِهِ ، وجَلَسَ على صدْرِهِ ، وقَبضَ علَى شيبتِهِ المقدّسةِ ، وضربَهُ بالسيفِ ، واحتزَّ رأسَهُ الشريفِ . (وا إماماه ! وا حسيناه !) .

فإنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعون

---

(١) الكامل في التاريخ ٤ / ٨١ ، معالي السبطين ٢ / ٥٠ .

المصادر

١ ـ بحار الأنوار .

٢ ـ مقتل أبي مخنف .

٣ ـ مقتل الحسين ـ للخوارزمي .

٤ ـ معالي السبطين .

٥ ـ مجمع المصائب .

٦ ـ واقعة الطف ـ لأبي مخنف .

٧ ـ الحسين قتيل العبرة ـ للشيخ عبد الزهراء الكعبي .

٨ ـ المصيبة الراتبة .

٩ ـ مصائب آل محمّد .

١٠ ـ تاريخ الطبري .

١١ ـ مقاتل الطالبيين .

١٢ ـ اللُّهوف .

١٣ ـ مثير الأحزان .

١٤ ـ الكامل في التاريخ .

١٥ ـ دموع الأبرار على مصاب أبي الأحرار .

صدر للمؤلّف

١ ـ دموع الأبرار على مصاب أبي الأحرار .

٢ ـ مستحبات العمرة والحج .

٣ ـ حقيقة زواج المسيار ومشروعية المتعة .

٤ ـ قيام إسرائيل بين أكذوبة الوعد الإلهي والاستعمار الغربي .

٥ ـ الماسونية والصهيونية العالمية .

٦ ـ الموساد الإسرائيلي والإرهاب الصهيوني .

٧ ـ الحجامة في الشرع والطب .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسّلام على محمّد وآله الطاهرين

الفهرس

المقدمة ٢
شهادة آل هاشم في كربلاء ٥
عليُّ الأكبر (عليه السّلام) ٦
عبدُ الله بن مسلم (عليه السّلام) ٨
آلُ بني طالب (عليهم السّلام) ٨
العباسُ بنُ علي (عليه السّلام) ١٠
وحدةُ الحُسينِ (عليه السّلام) ١٣
الإمامُ زينُ العابدينَ (عليه السّلام) ١٤
شهادة الحسين (عليه السّلام) ١٤
عبدُ اللهِ الرّضيع (عليه السّلام) ١٥
نحو الشهادة ١٦
عبد الله بن الحسن (عليه السّلام) ٢١
المصادر ٢٤
الفهرس ٢٦